مرحبا بالتقسيم! مرحى للصهيونية

للأستاذ أحمد مرسى بك

جاء وعد بلفور ونحن فى غفلة من الزمن ، وجاء وعد التقسيم والعـــالم العـربى يتحرك ويتـذمر ، مرة الأول ولم يشعر به أحـد منا ، وجاء الثانى فإذا نحن فى يوم مظلم للصهيونية وساعة قاتمة عليها ، فبراءة من العهود والمواثيق والمعاهدات ، وأذان إلى الأمم العربية أن تقاتل فى سبيل الأرض المقدسـة ، فرحباً بالتقسيم ومرحى للصهيونية !

إن يوم التقسيم يوم أسود عليها ، إنه يوم الفصل ، إذ فيه يبدأ الكفاح الحقيقى للعرب فى سبيل كيانهم ووحدتهم وتحقيق آمالهم فى نظام هذا العالم الجديد .

ولا يغرنكم أيها العرب ما ترون من فتور فإنى واثق من أن تسعة أعشار الإنسانية معنا وفى صفنا ، وإن الداء الذى نشكو منه ونئن ، يشكو ويئن منه ملايين من الخلق مثلنا وهم ليسوا بعرب ولا بمسلمين ولكنهم إما ذاقوا من اليهودية العالمية ما جعلهم أعداء الداء لها ، وإما أنهم فى وضع سياسى واقتصادى واجتماعى لا يختلف عن الوضع الذى نشكو منه فى كثير أو قليل

فهم جميعاً لهذا السبب ولغيره من الأسباب حلفاء لنا . ولقد جاء التقسيم فكان خير دعاية لنا ، وجاء كفاح العرب ووقفتهم إزاءه لكى يشعر كل طرف من أطراف الإنسانية الواعية الراشدة أن هناك ظلماً يحيق بالعرب وأن هناك كفاحاً وقتالا فى سبيل الحق

فرحباً بالتقسيم مرة أخرى !

وهناك أكثر من ذلك ، لقد أمضى أسلافنا وقتاً طويلاً وهم فى حالة ركود وإغماء عقلى لا يشعرون بما كان يحاك حولهم ، بل كانوا ينظرون إلى العالم الخارجى نظرة الرجل المطمئن إلى غده الواثق من جاره وصـديقه ، القانع بالتسليم والرضى ، أما الآن فوداعاً أيتها النظرة المطمئنة الوادعة ، ووداعاً هـذا التسليم والرضى ، لقد جاء التقسيم فأعلمنا أن هناك قوات تهيم فى الأرض ، أكثر تلاعباً بالألفاظ منا ، وأكثر مكراً وبطشاً وخديعة منا ، وأصبح حتماً علينا تطليق النظريات الأولى والفلسـفات الشرقية والجمود والخضوع ، والهدوء والرضا . أصبح حتماً علينا مواجهة العالم بنظرة جادة وقوة متوثبة ، وعقل جديد ، وهذا من فضل التقسيم علينا إذ أعلمنا أن أى تراخ أو نكوص أو تراجع ، هو جناية منا فى حق أنفسنا ، لأن الأجيال القادمة ستحاسبنا على أى خطأ حساباً عسيراً ، فالويل لنا إذا لم نقف أمام التقسيم ونحاربه .

لقد عاش الشرق فى سنوات الفوضى والجمود والتخاذل ، فإذا بطارق غريب عليه استخف العرب بأمره فى بادىء ذى بدء ، وإذا هو أشد وطأة من حملة نابوليون وجنوده ، وأخطر من بريطانيا وجبروتها ، وأعمق من إيطاليا وحجافلها السوداء ، وأقوى من فرنسا وقوادها . لقد تشجع هذا الطارق فإذا به يدق الأبواب بشدة لم تعهدها آذان أهل الشرق منذ الاسكندر وقيصر ، ظناً منه أنه يرعب الشعوب التى وقفت تحارب أوربا ، وقضت على ملك الإغريق وبيزنطة ورومية ، وساقت الأسرى من الحروب الصليبية التى جاء بهم قصور الهند وآسيا ، فإذا بالنائم يستيقظ وإذا بنا نبعث بعثاً من جديد ، وإذا بالطارق يدفعنا دفعاً ليحرك الجموع ويرتب الصفوف ويخلع علينا حلة جديدة من الكفاح ، فرحباً به ! إن النفوس التى وقفت تقارع الاستعمار الأوربى بأساليبه المختلفة تتقدم اليوم لتقارع الصهيونية بأساليب وأسلحة لم يكن يحلم بها

معه كثير من الشبهات القوية على وجود الروح والملأ الأعلى ، وهذه الأمور كلها أحاطها الملحدون بشبهات لا يقوى على محقها إلا هذا النور الجديد ، الذى أشرق من صوب المباحث النفسية . فإذا أهملوا الاستفادة منه اضطروا للافتسار فى دفاعهم عن الدين على استعمال الأسلحة القديمة وقد أصبحت لا تغنى حيالها شيئاً فيكونون قد رضوا لأنفسهم فى هذا الصراع العنيف بين الإسلام والإلحاد بهزيمة ساحقة .

٣٠٥٢ محمد فريد وجدى

واصمو قرار التقسيم فأهلاً به .

لقد كنا نقنع بأن الأعمال التي تمت في هذا الركن من العالم في غضون هذه السنوات كافية ، وكنا نقارن أنفسنا بما كان عليه أسلافنا .

فنقول ها قد أصبحنا أكثر انطلاقاً منهم في أشياء ، وها قد حققنا لبلادنا ما يشبه بعض ما تتمتع به المجموعات الراقية من مظاهر السيادة والقوة والسلطان ، فأصبح لنا دستور وجيش ونظام مالي . أما اليوم فلم نعد نقنع بالأقوال ولا بهذه المظاهر : إننا نصارح الدنيا والتاريخ ونقول :

إذا كانت حملة نابوليون بداية سيطرة أوربا علينا بنفوذها المادي ، فإن مجيء الصهيونية بداية الوثبة الكبرى ، بداية التطور المادي والعقلي معاً استعداداً لكسب معركة الشرق في أرض فلسطين والتحرر النهائي من سيطرة أوروبا علينا .

إننا ذقنا طعم الانتصارات الحربية ولمع فيها اسم صلاح الدين وبيبرس ، وقدمنا الضحايا بالملايين في مدى قرنين من الزمن ، وبرهنت المعارك أن الدماء التي تجري في عروق أبطالنا وشهدائنا أقوى وأشد من دماء فرسان أوربا ، ونحن على استعداد لخوض معارك جديدة ، وتقديم الضحايا بالسخاء الذي عرفته الحروب الماضية ، ولكننا نرحب مرة أخرى بالصهيونية ، ونقول لها مرحى ! لماذا ؟ لأن حكم الغرب وجبروته وسنوات الاستعمار لم تدفعنا إلى الأمام إلا في الطريق المادي . أما الحرب القائمة الآن مع الصهيونية والمنظمات اليهودية العالمية فستدفعنا إلى ما هو أبعد وأقوى إلى تحطيم الجمود العقلي الذي فرض نفسه علينا . نعم لأجل فلسطين ولكي نكسب حربها ومعاركها سيسترد الشرق استقلاله الفكري وحريته العقلية ، وسيخرج من ربقة الاستعمار الذهني وهو بعقل أوروبي أكثر قضاء وتعمقاً مما يتوهم الأعداء ، نعم سينشىء ويبني وينظم ويقود لينتصر انتصاراً يهز العالمين : أوربا وأمريكا .

فقل للذين يشكون في هذا أن يخرجوا أقلامهم وأوراقهم ويقيدوا ما أقول : لم تعد تبهرنا السياسة التي تصب لنا الأشياء في القالب الذي يرضي الاستعمار وأهله وأذنابه وتقول انا هذا من عند أنفسكم .

لم تعد تجدي معنا أساليب تحريك الأطماع والغرائز وتقديم أشياء الرجال ودعاة التفكك . لقد شببنا عن هذا الطوق !

ونهمس مرة أخرى في آذانهم فنقول :

إذا كان الاستعمار الأوربي لم يجعل منا بعد مائة وخمسين عاماً رجال عقل وفكر وإرادة ، فقد تكفلت الصهيونية بهذا إذ نقلتنا نقلا من عالم أشياء الإنسان إلى عالم الإنسان ، وكان ذلك بمحض إرادتنا للتغلب عليها وإقصائها عن أوطاننا .

فإذا ترك الاستعمار بلاد الشرق فوضى وأهلها يحطمون بأيديهم ما بنوه وانهمنا بأنا نسير على غير هدى ونعمل تحت وحي تيارات الساعة ، ومصلحة الأحزاب وإيحاء صحافة هدامة ، فليطمئن دعاة الاستعمار وأذناب الصهيونية علينا : من هذا أو أكثر بعد اليوم .

ألا فليؤمنوا أن دروس الحقائق الكبرى التي ألقتها علينا الصهيونية في فلسطين تعدل ألف درس مما ألقاه علينا الاستعمار الأوروبي . فإذا كنا لم نحطم الأصفاد والأغلال التي وضعتها أوربا يوماً في أيدينا وأعناقنا فإن قضية فلسطين أصبحت جديرة بأن نكسبها ، وفي سبيل كسبها حطمنا الأغلال والأصفاد ووثبنا الوثبة التي لا يمكن أن ترد .

أندري ماذا علمتنا فلسطين ؟

علمنا الصهيونيون أن العلم قوة ثورية هائلة على الأرض ولهذا ملكتنا عقيدة الاقتدار والانتصار بالعلم .

نعم سيكون العلم في حياتنا سلاحاً قاطعاً فيصلا لحل مشاكلنا معهم .

لقد تعلمنا أن الظروف المحيطة بنا لا تُخلق حسب أهوائنا حتى تحل متاعبنا طوع إرادتنا ووفق أهوائنا . وعلمتنا فلسطين كيف ندرس كل حالة ونتعرفها ، وتعرّف الشيء تكييفه بناء على طريقة منظمة وتبعاً لمنهج منطقي تحليلي . فالفضل لكم يا أهل صهيون ولأطماعكم إن أصبح الشرق قوة يحسب لها حساب .

لقد أخذنا عنكم أن المنهج هو القوة الوحيدة النهائية الفاصلة التي لا تحد والتي لا يمكن أن يثبت أمامها شيء في الوجود أو تعترضها معضلة من غير أن تجد لها حلا ، لقد أخذتم عن الغرب روحه وعقله وأتيتم إلينا تطبقون هذا على أراضينا .

أما نحن فقد وقفنا نفكر علمياً ومنطقياً لندفع بالفكر العربي حتى يتعرف نفسه في كل شيء ، وليبسط نفوذه ومضاءه وقوته

حتى نعيدكم إلى الأقطار التى جئتم منها :

إنكم دفعتم العرب إلى الثورة مرات قبل اليوم وكنتم تنظرون إليهم نظرة التفرج ، أما اليوم : فستكون الثورة الكبرى فى هدوء ونظام تسير على برامج وتضبط فى المعامل وتقرن بالأرقام

ستكون ثورتنا وليدة المصائب التى حلّت بنا ، وخاضعة للعقل الذى قيّد كلّ ما فرطنا فيه نوضع الخطط لسنوات قادمة ولأجيال مقبلة

ولذلك سنجعل لكل يوم عملا كما يناسبه ، ولكل شهر كفاحاً يتفق مع مراميه ، ولكل سنة حرباً تتطلبها تلك السنة .

لقد جربتم حظكم معنا فى وقت لم نكن نفهم فيه أو ندرك شئون عالم يتطور . أما اليوم فاسمعوا وا كتبوا ما أقول :

إننا سنتبع التفكير بالمنهج ، والمنهج بالحركة ، وسنعرف كيف نسيطر على الظروف ، لا بل كيف نستبق الزمن ونلين الطبيعة ونتعرف قوانينها وعلاقاتها بالأشياء ، لأننا سنلاقيكم اليوم وغداً وبعد غد ، وسترون أننا فى كل مرحلة سيكون التلاقى على صعيد أنسب لنا وأقرب إلى جعل النصر تحت متناول يدنا . وتلك سنة جديدة لنا لم تعهدوها فى الماضى عنا .

لقد طالما سمعنا كم ترددون : وماذا تصنع بلاد العرب التى تهدمها عوامل التفكك والانقسام ويؤخرها التشيع الذى يقتل جهودها ويقصى النافعين من أبنائها ، ألم تروا كيف تحكمت فيهم الأغراض والمساوىء : فأصبحت بلادهم ضعيفة مستأمنة خاضعة طائعة

ونحن الذين عانينا ما تقولون نؤكد لكم أن قتالكم فرض علينا ، وأن هذا القتال سيجعل من كل قطر عربى مجتمعاً منسجماً للوثوب ، فلن تنتابه بعد اليوم عوامل الهدم التى عهدتموها ثقوا أننا أخذنا أسلحتكم كما أخذتم عن الغرب أسلحته ، فالويل لكم منا بعد اليوم . إننا نسلّم بأن فيكم رجالا كانوا قادة وبناة من الطراز الأول ، وأن هذا الوطن الذى تحاولون إنشاءه على نهر من الدماء هو من صنع تفكيرهم .

ولكن حلمهم لن يتحقق ، ولن تقسم البلاد العربية إلى شطرين الشطر الإفريقى والشطر الآسيوى ، هذا لن يكون أبداً . لأن منا رجالا قد أخذوا على أنفسهم العهود والمواثيق لكى يحولوا دون ذلك ، وهم من مدرسة جديدة لن تجدوا لها قبيلا فى منظماتكم . أتدرون كيف هم : إنى آتيكم بنبأ عنهم : هم قوم فهم التضحية إلى أقصى حدود التضحية ، ولكن بغير نفسية الاستعداء والضعف ، حماستهم ثبات وهدوء ، ووقفتهم فى القتال رائعة ، سيقدمون البذل كفرض عليهم ، كما فرض المسلمون الأوّل الجهاد والتضحية والبذل على أنفسهم ولذلك لم يعرف عنهم أنهم ولوا الأدبار ؛ كذلك رجالنا .

نفوسهم عالية : يُعلّمون ويتعلمون ، يُدرّبون ويُدرَّبون ، يحاضرون الغير وينصتون للغير ، ويُلقون الدرس ويتلقونه عن الغير . فيهم قوة الملاحظة وهدوء الأعصاب ، تلمس اليقظة مع الوعى فيهم ، وقوة الارادة مع التواضع ، ولذلك يسيرون إلى الموت بالتهليل والتكبير والفرح والغبطة : إنهم الطليعة الأولى .

أعرفتم أيام الإسلام فى فجره ؟ أعرفتم أنه بدأ غريباً وقامت قيامة الدنيا عليه ، فتغلب على الدنيا وقيامتها ، كذلك طلائعنا اليوم ستعيد أمجاد الطلائع الماضية : سيكون فيها المتحمسون والرواد والمحاربون والشهداء ، نعم نسير لننتصر ، ونموت لنحيا

قلوبهم عامرة تشبه قلوب الطلائع الأولى ، ستأتى زرافات إليكم من الأرض والهواء والبر والبحر طلباً للشهادة فى الأرض المقدسة التى وعدنا بها . أليست أرضنا وبلادنا ومنزل الوحى عندنا ؟

فأين أنتم منا ؟

أحمد رمزى

صدر اليوم :

الهجـــاء والهجاءون

فى العصر الجاهلى

للدكتور محمد محمد حسين

مدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ثمن النسخة ٢٥ قرشاً

ويطلب من الناشر

مكتبة الآداب بالجماميز

بمصر ت ٤٢٧٧٧ والمكتبات الشهيرة

وقريباً يصدر

الهجاء والهجاءون فى صدر الاسلام